جدل بين هرقل وقومه

..... عند ذلك يقول أبو سفيان ارتفع صوت هرقل وأخذ يجادل ويتجادل مع البطارقة الذين حوله، وارتفعت أصواتهم، يقول: فَأُخْرِجْنَا.. أخرجونا. فلما خرج يقول: قلت: لقد أَمِرَ أَمْر ابن أبي كبشة.. لقب كانوا يلقبون به النبي صلى الله عليه وسلم، يَتَنَقَّصُون به، لقد أَمِرَ أمره، يعني: ارتفع شأنه، وظهر أمره، حيث يخافه مَلِكُ بني الأصفر، أي: ملك الروم.. كيف أنه يخافه؟ يقول أبو سفيان فما زِلْتُ مُوقِنًا أنه سيُظْهِرُ أمره حتى أدخل الله عَلَيَّ الإسلام؛ يعني حتى أسلم أبو سفيان كان إسلامه في سنة الفتح، لما أن النبي صلى الله عليه وسلم أقبل إلى مكة ومعه الجيوش الذين غزا بهم مكة خرج العباس يتلقى بعضهم، فعرف صوت أبي سفيان فجاء به، وأركبه على فرسه، وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ورَغَّبَهُ في الإسلام، ومازال به إلى أن أسلم، ودخل هو وأهله في الإسلام، وكذلك بَقِيَ أهل مكة مَنْ بقي منهم، فقوتلوا في ذلك اليوم، ثم بعد ذلك أسلموا.. هذا ما كان من أبي سفيان وأما ما كان من هرقل فَذُكِرَ من شأنه أنه أصبح مرة في قومه مغمومًا عليه آثار الحزن، وعليه آثار التأثر والهم، فسأله بطارقته الذين هم وزراؤه، ومَنْ حوله، وذكروا أنه كان حَزَّاءً؛ يعني مُنَجِّمًا، يَدَّعِي معرفة النجوم، ويَدَّعِي معرفة الأمور المغيبة، فقال: إني نظرت في النجوم، فرأيتُ أن مُلْكَ الختان قد ظهر؛ يعني أَنَّ مَلِكًا قد ظهر، وأنه مَلِكُ الختان، فبطارقته هَوَّنوا أمره، وقالوا: لا يُهِمَّك ذلك، ولا تَحْزَنْ، ولا تَخَفْ على ملكك، وذكروا أنه ما كان أحد يَخْتَتِنُ إلا اليهود؛ لِأَنَّ النصارى ما كانوا يختتنون، وإلى اليوم، فقالوا: لا يهمك أمر اليهود، وابْعَثْ إلى رؤساء البلاد التي تَحْتَك، يُؤْمَرُ بمن فيها من اليهود فيُقْتَلُون، طمأنوه بذلك. يقول: ثم جاءهم رجل من العرب، وأخبرهم بظهور هذا النبي، الذي هو النبي صلى الله عليه وسلم، فَأَحْضِرَ إلى هرقل فقال: اذهبوا، فانظروا: هل هو مُخْتَتِنٌ؟ فقالوا: نعم هو مُخْتَتِنٌ، وأخبره بأن العرب كلهم يختتنون، وأن هذا من مِلَّةِ إبراهيم عليه السلام، فالحاصل أنه لما أخبره بظهور النبي محمد صلى الله عليه وسلم أراد أن يستدعي قومه، وأن يستدعي بطارقته ورُؤَسَاءَهُ إلى أن يُسْلِمُوا، فدعاهم وقال لهم: هل لكم في بقاء مُلْكِكُم؟ وهل لكم في بقاء شَرَفِكُم ودولتكم وبلادكم؟ فتتبعون هذا الرجل الذي يَدَّعِي أنه نبي، فلما قال لهم هذه المقالة نفروا من كلمته نفرة حُمُر الوحش، وكان قد أُغْلِقَ الأبواب، فذهبوا وإذا الأبواب قد غلقت، فقال: رُدُّوهم، فلما رجعوا قال.